تفريغ مادة مرئية بعنوان

النبوءة الحق والنبوءة المدعاة

.

٦/ ٧/ ٢٠١٧ – ١٢ شوال ١٤٣٨

مدة المادة: ١٤:٣٢

الشيخ

أبو قتادة الفلسطيني

حفظه اللّٰه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

ورد سؤال إخواني، وإن لم يكن على الفيسبوك ولكن من مكان آخر، إن شاء الله تعالى يعني أنبه الأخ أن يعود إلى الجواب هنا في هذا الموطن، وربما ينشر في موطن آخر.

سؤال الأخ واسع جدًا، ولكنه يُقَيِّده بالأمثلة، يقول: هناك أمر يشغلني منذ مدة ليست بالهينة، وهو: الاستدلال بالأمور القدرية على المسائل الشرعية؛ فمثلا: بلغني أن البغدادي وأسلافه كانوا قد أعدوا منبرًا للمهدي، والآن في الشام كانوا يتسابقون على دابق، ويستعدون الدول للدخول في حلف أعدائهم، يلتمسون بذلك إتمام عدد الرايات المحاربة، لتتحقق النبوءة؛ وقبلهم كانت جماعة شكري مصطفى -سُمِيت: جماعة التكفير، وهي اسمها: جماعة المسلمين، كما كانوا يسمون أنفسهم- تترك الأخذ بالأسباب العصرية، ويعتمدون على الإعداد البدني، لاستشرافهم لزمان زوال الأسلحة النارية والعودة للخيل والرماح.. والأمثلة كثيرة.. وما في جعبتكم أكثر بكثير مما أعلم. فما هو ميزان التعامل مع الأمور القدرية بسنن كونية ونبوءات؟ فتح الله عليكم شيخنا.

حقيقة: هذا السؤال واسع، ولكني سأقتصر على ماهو لازم في هذا الباب، تسهيلًا للنشر.

الحقيقة: أن هذه الطريقة التي شرحها السائل -أمثلة غيرها- تدل على التخلف، وتدل على الفساد العقلي، وكذلك تدل على ضعف -وإن لم يكن ذهاب- الأصول الشرعية في التعامل مع النصوص الشرعية.

الفرق بين النبوءة الحق وبين المدعاة: أن المدعاة يصنعها المرء لتحقق له مراده، وأما النبوءة الشرعية فهي تنزل على المرء بلا استئذان منه ولا ترتيب منه..

وأنا أضرب لكم مثالًا أو أمثلة بحسب ما يحضر..

مثلا: كان عند أهل الكتاب نبوءة تفيد أن هناك نبي قادم قد اقترب زمانه -وهذا في أحاديث صحيحة- فكانوا يتوقعون ويستشرفون نزول شيء ما يغير الحالة التي عليها الناس، من وجود نبي يحقق النصر وينشر الخير، واسمه محمد... وجد في التاريخ من سمى ابنه محمدًا -قيل: ثلاثة، وقيل: أربعة- من أجل أن تتحقق فيهم النبوءة.. انظر إلى هذا.. سموهم لكي تتحقق النبوءة.. هذا حشر؛ أما النبي صلى الله عليه وسلم فإنه لم يسم لهذه النبوءة، ولم تكن على بال جده عندما سماه، وإنما سماه محمدا ليحمده أهل السماء ويحمده أهل الأرض.. فهذا شيء آخر؛ والنبي صلى الله عليه وسلم لما نُبِّأَ لم يكن محضرًا نفسه بل فوجئ، كما في القصة

الصحيحة في صحيح البخاري باب بدء الوحي وكيف حدث معه الوحي.. فلم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يترقب ويدخل نفسه..

وهذا ينبهك إلى معنى مهم: أن النبوءة تكون بحسب السياق السنني الجاري لها، ولم تكون بصناعة خارجية، ولا بمحاولة حشر الحدث ليتوافق مع النبوءة..

الذي يحدث: أن الناس يستغلون النبوءة من أجل تمرير أشياء.. قد تكون -أي: الأشياء، وليس إنزال النبوءة على هذا الشخص- في بعضها صحيحة.. مثلًا: عندما المهدي السوداني سمى نفسه المهدي، فكان هذا سبيلًا للحوق السودانيين له في المعارك الشهيرة التي خاضها ضد الإنكليز، ودخل الخرطوم وقتل الحاكم العسكري فيها وأباد الحامية الإنكليزية كلها.. الاسم "المهدي" حقق له الانتشار.

وكذلك: الدعوة إلى الرضا من آل محمد: لا تجدون تحديدًا أنهم من أولاد العباس، وإنما الرضا من آل محمد، فظن الناس أنها دعوة إلى أهل البيت من أولاد الحسين والحسن، ولكنها كانت دعوة للعباسيين، فحققوا مقاصدهم.. لكن هذه ليست من الهداية في شيء.. هذا مخالف للشرع.. هذا كذب..

والكذب قد ينفع لفترة، ولكن لا ينفع لكل فترة؛ والعبارة شهيرة ومعروفة لديكم: "الكذب لا ينفع في كل الفترات لكل الناس" قد ينفع لبعض الناس في بعض الفترات، ولكنه لا ينفع لكل الناس، يعني: لا يحقق مراده لكل الناس في كل وقت وزمان، وهكذا.

فهذا نوع من الكذب.. وهو إنزال النبوءات على أشخاص، أو حشر الأشخاص في نبوءات..

نحن نعلم -كما قال أهل العلم- أن موضوع المهدوية من أكثر المواضيع استغلالا في التاريخ الإسلامي، للأسف.. المهدي بن تومرت.. المهدي السوداني.. المهدويون القدماء.. والآن الروافض.. كثير منهم يفسد ويفجر من أجل أن يستعجل خروج مهدي السرداب المدعى..

أنا كتبت مرة بحثا -أرجو أن تعودوا إليه- : أن هناك ثلاث شخصيات هي شخصية واحدة، وهي: مهدي الشيعة وملك اليهود المنتظر ودجال المسلمين الذي خبر عنه الحديث.. هي شخصية واحدة... كتبت في ذلك بحثًا وأحضرت فيه.. أخذه بعضهم وزاد عليه بما لا ينفع، ولكن أساس القضية قد تأصل..

فما الخطأ في هذا الباب؟

الخطأ في هذا الباب هو: التكلف.. إنزال الأحاديث في غير موطنها.. التهيئة لأحاديث لم يأت زمانها.. نعم، يحق للمرء أن يستشرف وأن يتأمل، ولكن لا ينبغي أن يُدخل النصوص إدخالًا كليًا فيما يريد مع عدم وجود الشواهد..

يعني: تعرفون مهدي الحرم محمد بن عبد الله القحطاني في قضية جهيمان.. كيف أن السذاجة، والنظر للنبوءة التي تنبي بالقهر الإلهي بنصرة هذا الرجل على أعدائه كانت سببًا لتجاوز السنن، يعني: كما ذكر في السؤال.. كان هناك تجاوز للسنن.. لا يريدون أن يهتموا.. كجماعة شكري مصطفى.. أنه سيعود الناس إلى القتال بالسيف والرمح.. وتجاوز السنن..

النبوءة لا تتجاوز السنن، والنبوءة تحدث بطريقة سننية واضحة لدى الناس، وليس فيها أمر غيبي قاهر بأن يلغي السنن، وإنما تنزل وفق السنن؛ وما خلق الأرض وقدر فيها قوتها في أربعة أيام، ليس لأن خلق الأرض وتقدير الأقوات أكثر وأعظم، ولكن لأن تقدير الأقوات جرى على مجرى السنن.. وقد شرحت هذا في دروس التفسير.

فالحقيقة: أن أهل الحق يتعاملون مع السنن.. هناك سلاح فعال فيتعاملون معه، ولا يقولون: أنا ولي فلا تؤثر بجسمي الأسلحة، وليس هناك منفعة للأسلحة، وأنا المهدي، والمهدي سينتصر سواء معه سلاح أو ليس معه سلاح..

النبي صلى الله عليه وسلم عندما هاجر كانت هجرته سننية.. عندما انتصر كان انتصاره سننيًا، أي: موافق لما قدره الله عز وجل..

تجاوز السنن هو: سنن قدرية تتجاوز سنن شرعية؛ يعني: هذه خلقها الله وأجراها على البشر جميعًا ولن تجد لها تبديلًا ولا تحويلاً، وهذه سنن شرعية أمر الناس أن يدخلوا فيها.. كتب الله.. كتب عليكم الصيام.. كتب عليكم القصاص.. وهكذا؛ فالله كتب علينا هذا على جهة التوجه والإرادة، وهذا على جهة الإقرار وخضوع الناس للكون القدري لهذا الخلق..

فالقصد: بأن الفارق الرئيسي في الموضوع –مع ما في ذلك من كذب وافتراء واستغلال غير شرعي– : أن النبوءات تأتي عن طريق السنن.. النبوءة الباطلة هي التي توضع في غير سياقها، وتصنع في غير سننها القدرية؛ أما النبوءة الحق فهي تجري مجرى السنن، وتجري من غير حصر لها..

انظر.. اليهود مثلًا عندهم نبوءات في التوراة، وهذه النبوءات لا تتحقق.. يتحقق منها بعضها، ولكن تتحقق من خلال الصناعة والعمالة والكذب وشراء الذمم، فمثلًا: من نبوءاتهم [(١)] مثلا: كيف يقاتل اليهود خصومهم؟ يقاتلونهم بأن يضربوا أقفيتهم وأدبارهم، ففي حرب الـ٦٧ لما هربت الجيوش العربية قالوا: هذا يدل على أن التوراه صحيحة.. كيف حدث أن هربوا؟ من خلال العمالة، ومن خلال شراء الذمم، ومن خلال الجاسوسية..

إنما تتحقق النبوءات الحقة من خلال جريان سنني من دون تدخل فاجر أو باطل أو غير شرعي.

مثال ذلك: أن من يريد من الروافض استعجال خروج المهدي، يريد أن يفسد ليخرج، فهذا تعامل غير شرعي، لإنه إن صح أن هناك أحاديث على وفقهم -إن صح، وهو باطل- فلا يجوز أن يحضر عن طريق المعصية.

فإذًا: هذا مهم جدًا للتفريق بين النبوءة الباطلة وبين النبوءة الحقة، وبين الإنزال الصواب على النبوءة وبين الإنزال الخاطئ عللا النبوءة.. وهناك قضيتين:

القضية الأولى: أن تصح النبوءة، وأن لا تكون مفتراة ولا مكذوبة.

النقطة الثانية: أن تنزل الأحداث عليها بطريقة صحيحة؛ والأفضل الابتعاد عن هذا.. الأفضل الابتعاد جملة، وإنما يتم الإخبار -مثلًا- بنصر الله للمؤمنين.. وقد وعد الله النصر للمؤمنين، ولكن أن يقال: هذا الحديث.. أن هذا هو الوقت لتحقيق هذه النبوءة، وأننا نحن رجال هذه النبوءة.. فهذا من الافتراء والكذب، وهذا من التدخل المنهي الذي شرحته.

بقيت نقطة.. إذا: ماهي فائدة النبوءة؟ فائدة النبوءة: أنها تحيي الأمل.. المقصود بها هذا.. المقصود: رفع المعنويات.. المقصود بها: الثقة بوعد الله بأن هذا سيكون.. عندما وعد الله المؤمنين بالنصر: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ فيُخبر بأنه سيكون كذا وكذا؛ وليتحضر المؤمنون لأمثالها، يعني مثال ذلك: عندما يتحدث النبي صلى الله عليه وسلم عن عيسى وعن يأجوج ومأجوج، وأنه لا طاقة لكم بهم -لا يد لكم بقتالهم- و "فحرض عبادي إلى الطور"، فتفيد بأمثالها.. وهو أن يتمسك المرء

---

(١) كلام غير مفهوم (د ٥٦:٩).

بدينه حتى في وقت الضعف الشديد، لأنه يلتجأ إلى الله ويهرب من الفتن ويتجه إلى الله كأمثاله؛ وإذا جاءت هي كانت الصورة الحقيقية، وإن لم تأت جاء أمثالها فطبق المرء الشرع الموافق لها.

فلذلك: النبوءات مهمة جدًا في بناء الشخصية المسلمة، وهي: النبوءات التي أخبر بها الله في كتابه والتي أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.. هي التي جعلت العلماء منذ عشرات السنين ينتظرون نصرة الله لدينه.. المستقبل لهذا الدين.

لذلك: ما يستحقق هذا هو الذي نتحدث عنه بإذن الله عز وجل.. والابتعاد عن تفسير الأحداث بما يوافق النبوءات من أجل نصرة مذهبه، يعني: تحدث السائل عن قضية دابق.. فهم يريدون أن يثبتوا أنهم على الحق عن طريق الواقع القدري.. وهذا باطل، وإنما يخرج عن طريق الدليل الشرعي والنص الشرعي، وليس بوجودك في مكان.. مثلًا: من الأمور التي وقعت خطأ في تاريخ أمتنا: أن ينتصر الناس لمذهب مالك كونه في المدينة، ورد عليهم ابن حزم ردودا قوية في هذا الباب؛ كذلك أن يُنَفَّر عن مذهب أهل العراق –مثلًا– لكون أهل العراق.. منها يخرج قرن الشيطان؛ وكذلك أن ينفر عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنها نجدية – على ما في ذلك من خلاف وخطأ– ويوجد خلاف ولكن الصواب: "نجد" هي المكان المرتفع كما قال[٢] يقصد بها العراق، ويوجد أحاديث أخرى تدل على هذا..

فهذا يقع من الخصومات غير المناسبة في هذا، والصواب: أن الحق يثبت بدليله الشرعي، وبنصرة الله له.. بدوام النصرة له وبهزيمة أعدائه له.. والله تعالى أعلم.

شكرًا لكم، وبارك الله فيكم، والحمد لله رب العالمين.

تفريغ العبد الفقير لرحمة ربه: أبي عبد الله الرتياني

(٢) كلام غير مفهوم (١٢:١٤).